المرأة في الزيارة

لقد جعل التزاور رياضة للعقل بما عسى ان يسمعه الانسان من فكاهة عذبة تكسح أمامها مرارة الملل أو نبأ سار يمحو من وجهه تجمدات الكد والتعب .

وجعل أيضاً استبقاء للود بمواصلة العطف والمواساة واستكمالا لرقينا الاخلاقي

ولكن أرى أننا قد نسينا أو بالحري تتناسى اغراض التزاور فكنا الى أمد غير بعيد نزور السيدة المصرية يوم مقابلتها فلا يكاد يدور الحديث حول شيء عام حتى تنفصل واحدة فتحدثنا عن نفسها أو ابنتها فتقول انها أصغر من أبنة فلانه ثم لا نلبث ان تتصدى لها واحدة وتناضلها رغبة منها في ان تنتصر عليها في ذلك الميدان وما هي طرفة عين حتى يشتبك الكل وينقلب الحديث حربا شعواء وربما انتهى الامر بتقطيع عري الود الذي جئن من أجل استبقائه وما كان أغنى كل واحده عن مقارنة عمر ابنتها بابنة صديقتها لو علمت أن صديقتها بل وكل مصرية مثلها تماماً تعتقد ان لاشيء يحط من قيمتها في المجتمع الانساني سوى ان يقال ان من بين صديقاتها من هي أصغر منها سناً

ليت الامر قاصر على ذلك فحسب بل هذا قليل جداً في جانب النميمة والاغتياب اللذين تقام عليهما زيارات نسائنا فلا تجمعنا الزيارة بلفيف من السيدات حتى تأخذنا الدهشة فنسائل انفسنا ترى، هل كان كل البوم كافياً لاتقان ذلك ـ التواليت ـ ام هل استعارت كل واحده شطراً من ليل أمسها

كي يكون لها من الوقت متسع . . . وأي جيب لا يضيق على تلك الدهانات والصبغات ـ وهكذا نظل في ذهول حتى يدور محور الحديث وعلام يدور هذه المرة . يدور حول واحدة من صديقاتهن التي حال دون مجيئها حائل فترميها الواحدة بالبزخ والاخرى بالطيش وغيرها بكثرة الخروج وعدم الاهتمام بأمر أولادها ومنزلها . ثم ينتقلن لغيرها فيقلن انها مولعة بالاغتياب وطالما كانت سبباً في التفريق بين صديقتين ولعمري اين هذا من رياضة العقل التي جئنا نبحث عنها في تلك الزيارة

أيتها المرأة المصرية ان مرآتك تلازمك اينما حللت ملازمة الظل للانسان فاذا كان يضرك لو القيت فيها نظرة على وجهك قبل انهالك صديقتك بالتبرج وبأي وجه تتعرضين للقول بأن صديقتك مولعة بالاغتياب وكلامك عنها في غيبتها هو عين الاغتياب ؟ أظن بذلك الوجه المصطنع اذ لو كان وجهك طبيعياً ربما خجل من ذلك التعرض فكل شيء طبيعي كامل ومنزه . . . ثم بأي مبرر ترمينها بالتفريق وما كلامك عنها إلا تنفيراً للقلوب منها وتفريقاً بينها وبين صديقاتها المجتمعات بك .

هناك نقيصة اخرى اري قلمي يتعثر كلما أردت التعرض لها بحق غيرتي على سمعة المرأة المصرية لولا انها تناقض أغراضنا من الزوار الا وهي منافسة بعض السيدات في تقديم المسكرات وأقامة الرقص والغناء أيام الزيارات ومما يندمل له الفؤاد وتئن تحته الفضيلة ويستغيث منه الحياء كون السيدة تستصحب طفلتها الطاهرة النقية الى مثل هذه الزيارات فتغرس في نفسها من بذور الرذائل والفساد ما يقضي على نقاوتها وطهارتها .

ثم اذا مالعبت الخمر برأسها لم تربأ بابنتها ان تراها وهي في طور خفورها وقليل ان لم تعطها قدراً منه أو تطالبها بالاشتراك في الرقص والغناء .

أيتها المرأة بحق الامومه اتقي الله في تربية ابنتك ان لم تتقيه في تصرفك لانها وديعة المستقبل عندك وعذابك محقق واليم ان أنت عبثت بالوديعة وعرضتها للهلاك

على انه لاداعي للقنوط من أمر تحول المرأة من غيها وضلالها فقد بدأ المستقبل يبسم لنا ومرأتنا اليوم غيرها بالامس فأنها قد خلعت تلك الثياب المهلهلة التي كانت تعوق سيرها وأخذت تسير بخطوات واسعة نحو الكمال الاخلاقي ثم بدد العلم ذلك الحجاب الكثيف الذي كان يخيم على قريحتها فرأت بعد تلك الدهانات والصبغات عن الفضيلة فنبذت معظمها وشرعت تستخدم أثمانها فيما هو أبقى وأنفع واذا اجتمعنا بها ! في زيارة تجلى أمامنا جمال تطورها فيعدان كانت تقارن عمر ابنتها بأعمار الغيد نسمعها تقارن المحاضرات التي تسمعها في الجمعيات بعضها ببعض وبعد ان كانت لاتجد امامها من مواضيع الحديث سوى اخبار فلانه صديقتها وفلانه جارتها نراها الآن تحدثنا بأعمال الوفد والوزارة وعظماء الرجال والجمعيات، الى غير ذلك مما يجعلنا نتفاءل خيراً في المستقبل فالى الامام ايتها المرأة كي تصفو لنا الحياة لان ماء النيل آلى على نفسه الا يعذب وسماء مصر أبت الا ان تتلبد بالغيوم حتى يصلح حالك والله يحب الصالحين .

لبيب مخيبر